

الصحافة والإذاعة والسينما

تبنى المجتمع أو تهدمه

يبدو أن كثيرين من المشتغلين بالصحافة والإذاعة والسينما في مصر لا يقدرّون قيمة السلاح الذي وضعته الأقدار في أيديهم ولا يعرفون مدى تأثيره ؛ أو يقدرّونه ويعرفون مدى تأثيره ، ولكنهم يرمون إلى الريح المادى الرخيص أكثر مما يرمون إلى المحافظة على شرف الأداة التي يملكونها ؛ أو يدفعهم العيب والاستهتار إلى اللعب بالنار ، ولو كان وقودها المجتمع والخلق والضمير !

وبغير هذه التأويلات لا نستطيع فهم بعض ما ينشر في كثير من الصحف ولا سيما الأسبوعية منها ، فكثير منها يتبارى الآن في إثارة أخس الغرائز البشرية ويعتمد على أحط الأساليب الحيوانية لترويج الصحيفة وضمان الربح المادى على حساب المجتمع وفنائه الإنسانية ، أو لبلوغ أغراض شفهية صغيرة لا يصح أن تضحي في سبيلها أمة أو يحترق في ضياعها شعب .

ووسائل هذه الطائفة متعددة ، فمنها عرض أسرار البيوت وأخبار الزواج والطلاق وحوادث العشق الرخيص ، إن حقيقة وإن خيالا ، لتغذية غريزة حب الاستطلاع في أحط صورها .

ومن هنا نشر ما يسمونه أخبار الطبقة الراقية وصورها وحفلاتها ، ولو كانت هذه أسرا راقية حقيقة ما قبلت أن تنشر صور نسائها وكريماتها في هذه الأوضاع المخجلة التي تنفر منها بعض أناس الحيوان ، وتتوارى بالغابات والكهوف حين تلجئها الغريزة إلى هذه الأوضاع ولا تسمح لعدسة المصور أن تلفظها لاختبائها إذ ذاك عن الأنظار ! . وليست المسألة في هذا مسألة تقاليد دينية أو مسألة شرف وعرض ، إلى آخر هذه الأسماء التي تدل في عرف هؤلاء الناس على التآخر والجمود ، بل هي مسألة شعور بشرى بل حيوانى ! ، ومسألة غريزة سليمة تأبى هذا التبذل في الأوضاع المخجلة .

ومن هنا نشر صور الشواطئ والحمامات ، بمعجة أن هذا يقع فعلا ، فلا ضرر من نشره ، أو بمعجة أنهم ينشرونه ليوجهوا أنظار المسئولين لمنعه في ” البلاجات “ . وهى حجة غريبة وفيها مغالطة واضحة ، فهذه المناظر التي يراها المئات من رواد الشواطئ لا يصح نشرها بين الملايين الذين يرونها في الصحف ، وما نشرها إلا نشر لمنكر باعترافهم ، والجريمة لا تبرر

الجريمة . على أن هناك عاملا نفسيا مهما في هذا الموضوع ، وهو أن الأجسام العارية على " البلاج " لا تثير ما تثيره صورة واحدة في صحيفة . والسبب في ذلك واضح لكل من ذهبوا إلى الشواطئ ، فهذا اللحم العارى هناك رخيص لا يكاد يجد من ينظر إليه وهو يبيت الرغبة فيه في نفوس الكثيرين لأنه مكشوف بارز للنظر ولا مطمح فيه للخيال ، ولأن الجو كله هناك يجعل هذه المناظر عادية لا تثير في النفس انتباها كالعري في الغابات والحراج عند قبائل الزوج على وجه التريب . بينما الصورة العارية في الصحيفة تلهب الخيال لاستحضار الأصل الحقيقي في الذهن وتثير التشهى بانارتها للخيال ، ولبعدها عن الجو العارى المتكشف على " البلاج " .

ومنها ترجمة ما ينشر في بعض الصحف الفرنسية والأمريكية — خاصة — ما يقصد به إثارة تطلع الجماهير بوسائل شاذة ، ومما يجعل هذه الصحف مواخير متنقلة ، كاجابة بعض الرافصات وبعض ممثلات السينما عن سؤال يتعلق " بالقبلة الأولى " متى تلقىها المشكلة أو الراقصة وكيف كان شعورها بها " أو عن المغازلات التي ان تساهها . أو عن " السقطة الأولى وظروفها " .

ومثل هذه الأسئلة والإجابات الداعرة التي يحجب بها عليها تنشر في الصحف وتدخل البيوت وتقرؤها الفتيات والفتيان في سن المراهقة وسن الشباب . وفيها ما يفسد الفطرة البشرية فضلا على الشرف الإنساني والحاسة الاجتماعية . دون أن تستعيز عنه الإنسانية فنا أو ثقافة أو علما . ومثل هذه المفاصد تباح لها حرية النشر التي قد يفتن بها على المبادئ والأفكار الإنسانية وعلى الصراعات السياسية الحزبية .

فتحن قد نستطيع أن نقبل انتهاك حرمت المجتمع والتحلل من القيود كلها في سبيل فن طليق أو مبدا من المبادئ الاجتماعية أو السياسية ، أو في سبيل نظرية علمية تهدم قواعد العرف والاجتماع ، لأن هناك تعويضا عن الهدم بالبناء ، ولأن الحرية في هذه الصورة أعلى من جميع المقدسات .

ولكن أى عوض للانسانية أو للمجتمع عما يهدمه هذا البغاء السافر في صورة صحافة ؟ وأية حرية هذه التي تباع حرمت الدين والمجتمع والأدنية لعبث داعر ، أو تجارة لا تزيد شرفا على تجارة المواخير ؟

وليس نشرها في بعض المحلات الفرنسية والأمريكية بشفيح لها أن يعاد نشرها في مصر ، ولا نريد أن نحتج باختلاف الوسط والبيئة والتقاليد ، أو بشيء من هذا الذي يمدّه السادة المنحللون من القيود تأخرا وجمودا ، وسكنا نقول : إن عاقبة هذه الإباحية كانت نكبة فرنسا العزيزة على أصحاب هذه الأقلام البائسة ، وأن المجتمع الأمريكي قد يهضم هذه النشرات لأنه

مجتمع قتي قوى التركيب ، وفيه من قوى البناء مثل ما فيه من قوى الهدم ، فهناك تعادل بين هذه القوى وتلك . أما المجتمع المصرى فهو مجتمع مفكك مضطرب تؤثر فيه أضعف الاثرات فى هذا الطور فى أطواره ، ويحتاج إلى منتهى الحرص والحذر فى إنهاضه ورعايته .

على أن عقلاء الأوربيين والأمريكين ينهون دائماً إلى أثر هذه الإباحيات الماحجة مع عرفانهم بصلابة المجتمع هناك ، إذ أن طول تعرضه للكشف والحرية أكسبه ماعة لا تتوفر فى المجتمع المصرى الذى يخرج حديثاً من الظل إلى الشمس ، ومن البيئة المحافظة إلى الطلاقة الموحاء ، مثله فى ذلك كمثل النائى فى الصون والرعاية حين يلقى إلى الصراع والاصطدام !

على أنى لا أذكر أن إحدى صحفنا التى تنقل هذه الأشياء نقلتها مرة عن صحيفة انجليزية . فهى دائماً تنقل عن الصحف الفرنسية القديمة أو عن الصحف الأمريكية . فلماذا لم تهبط الصحف الانجليزية إلى هذا المستوى ؟ ولماذا لم يبيع المجتمع الانجليزى هذه الدمار السافرة ؟ ثم ألا يستطيع بلد شرق مسلم أن يحافظ كما يحافظ الانجليز حتى الآن ؟

وما يقال عن الصحافة يقال عن الإذاعة ، ومع كل ما حاولته جهات الإشراف على الإذاعة من التطهير والتنظيف ، فما يزال بعض الأغاني يحمل معانى داعرة أو مؤذية للفطرة السليمة ، وبعضها يسلم من هذا العيب فى ألفاظه ، ولكنه لا يسلم منه فى تاجينه وفى أدائه . وكثيراً ما يحمل الأثير إلى سمع الحرائر فى البيوت صوتاً راعشاً ونغمة فاجرة تردد مثل هذه الأغنية :

يا كابتى أحب لنجومك * يا كابتى أموت فى هدمك
كلامك حامى يا كابتى * يهز الألب طوالى
وشكلك ميري يا كابتى * وكنتك كله بيلالى

وأقول صوتاً راعشاً ونغمة فاجرة لأن ألفاظ الأغنية قد تكون مستورة . أما أدائها فهو الجريمة التى يجب أن نتره عنها سمع الفتيات والفتيان ، بل سمع كل آدمى يحس أنه إنسان لا حيوان !

وليس بين أداء هذه الأغنية وأداء بعض الأغنيات الأخرى مثل " ميهونشى " و " ما قدرش أنساك " و " يا ماما " و " بلاش تبوسنى فى عيني " وسواها كبير فرق ، بل جميعها مسخ للفطرة البشرية ، وانحلال فى الطبيعة الإنسانية ، وتبيع بغنى به بعض النفوس ، ويخل به بعض النفوس . وجميعه لا يصح أن تسمعه أمة ناهضة تتطامع إلى الحياة .

وما نسمعه في الإذاعة أعلى وأشرف — مع هذا — مما يذاع في الصالات . ولكن الضرر هناك مقصور على روادها وهم أولا طائفة قليلة بالنسبة لمستمعي الراديو ، وثانيا جماعة لا يزيد مستوى نفوسها على مستوى ما تسمع وتشاهد ؛ وقد ذهبت إلى هناك ترضية للشعور البهيمى وإجابة للضرورة الغريزية ، فلا ضير عليها أن تجد هناك هذا الغذاء الذى ذهبت تتلمسه فتلقاه . وإن كان هذا لا يعنى المجتمع من حظر هذه السموم حتى على المتسممين !!!

أما الأفلام ففي بعضها متعة للنفس والفكر تفتقر لها ما يشوبها من مناظر وإشارات . ولكن بعضها لا يزيد على الإغراء الرخيص والإثارة الوضيعة . وذلك مع ندرة الأفلام الثقافية التى تفيد التلاميذ والطلاب وطالبي المعرفة بوجه عام ، وهى أفلام تعنى بها بعض الهيئات وبعض الحكومات فى أوربا وأمريكا وتعوض بها ما تحسره فى الأفلام الأخرى ، ولكننا فى مصر نصنع فى هذه المسألة ما نصنعه فى كل شئ نقتبسه عن الغرب : نأخذ القاسم ونُدع الصالح بدقة غريبة لا تخطئ فى مرة من المرات !

*
*
*

والآن ونحن نفرض الرقابة على كل ما ينشر أو يعرض أو يذاع ، خيفة أن يكون فيه لفظة سياسية أو دبلوماسية لا ترضى جهة من الجهات ؛ ونحن نستبيح فى سبيل هذا الغرض كل حرية من الحريات العامة ؛ لم نقف مكتوفى الأيدي أمام هذه المفاصد المتثقلة ، ولم لا نستبيح الحرية لننقذ المجتمع مما يهدده من الفوضى والانحلال .

لقد قلت : إن الحدود والتقاليد قد تضحى ولكن على مذهب أسمى منها ، هو مذهب المبادئ والأفكار . فهل يجوز أن تضحى كذلك على مذهب التجارة أو مذهب الاستهتار ؟ إن الحكومة فى هذه الأيام تلغى البغاء ، فهل ترتفع هذه النشرات وهذه الأغنيات وهذه الروايات عن هذا البغاء ؟

وأنا أكره أن تسخر الفنون للأغراض الاجتماعية ، وأن نفرض طريقة الوعظ والإرشاد على الفنون والآداب ، ولكن ينبغى أن يكون الفن فناً ليستمتع بحق الطلاقة من القيود . أفهذه الصحافة وهذه الإذاعة تستحق أن تكون فناً وهى تعرض الأجساد العارية بلا غاية من الفن أو الدراسة ، وتذيع النغمات المسترخية المتأنتة أو الفاجرة الداعرة بلا غاية من الفن أو الثقافة ؟

يجب أن تكون هناك رقابة اجتماعية لا تنقل تدقيقاً عن الرقابة السياسية ، فمن العبث أن ننظر من هؤلاء التجار ، على اختلاف سلع التجارة فى أيديهم ، يقفلة فى الضمير أو نبضة فى الشعور . إنهم يعرضون هذه البضاعة فيربحون ، ويزيدهم الربح إصراراً على انتقاء البضاعة القذرة المطلوبة للسوق فى عصور الانحلال والاضطراب !